

خصائص مزعومة

د. عمر فروخ*

إن الخصائص التي يزعمها دعاة الشعر الحديث ابتكاراً من عند أنفسهم، كانت معروفةً كلها في الشعر المألوف. ولكن ما ذنب الشعر المألوف إذا كان هؤلاء الدعاة لا يعرفون تلك الخصائص.

- التجربة الشخصية عندهم هي العنصر الشخصي عندنا والعنصر أهم من التجربة، لأن العناصر في الطبيعة وفي السلوك الإنساني أصيلة، أما التجربة فهي في الأكثر عارضة.

- والكلمات الجديدة عندهم هي الألفاظ المولدة عندنا (حينما ينشأ في الفكر مدرك جديد، وحينما يبدو في الطبيعة أو في المجتمع مظهر جديد، فإن ذلك المدرك وهذا المظهر يحتاجان إلى لفظ جديد للتعبير عنهما. من أجل ذلك كانت الألفاظ في العصر العباسي أكثر عدداً من الألفاظ في العصر الجاهلي، لا لأن أبا نواس وابن الرومي والمتنبي أرادوا ذلك، بل لأنهم احتاجوا إلى ذلك).

- والموضوعات الجديدة عندهم هي الأغراض الجديدة عندنا. لم يقل أحد من عقلاء الجنس البشري إن العصور المتعاقبة لم تُعانِ مشاكل جديدة في كل يوم. ولم يقل أحد من الناس إن جميع مشاكل الدنيا تعالج بطريقة واحدة لا ثاني لها. من أجل ذلك كانت الفنون (أنواع الشعر) في العصر العباسي ثم في العصر الحديث أكثر عدداً وأوسع مدى مما كانت في جاهلية العرب وفي جاهلية اليونان أيضاً.

- والتحرر من الأوزان عندهم هو التوشيح عندنا - مع فارق بسيط: إنهم يخرجون من نظام إلى فوضى (وإن ادعى نفر منهم غير ذلك)، بينما الوشاح يخرج من نظام إلى نظام.

* عن كتابه «هذا الشعر الحديث» - دار لبنان للطباعة والنشر - بيروت ط. أولى من ص ٢٢٥ إلى ص ٢٣٠.

وعشرات الأعين تحيط بخلايا جسده، جلس على كرسي صغير، كان الضوء خافتاً، لكنه ظل يحدق في الكرسي ثم طار بمخيلته إلى غزة!! أخته حياة كانت تحب الجلوس على الكرسي ذي الأرجل الثلاثة!! ابتسم بحزن وقال لنفسه ساخراً: أه يا حياة!! لو تعلمين أن أخاك يجلس الآن على كرسي.. وبرجل واحدة!!).

ومن جميل تصوراتها ماورد في الصفحة (١١٠): (نظر إليه المحقق بغضب، بينما ينظر وائل حوله بضيق، لم يكن سوى كرسي عادي، حتى المحقق بدا أقصر مما كان عليه سابقاً). ومن طريف تصوير صراعات النفس بين العاطفة والواجب ما ورد في الصفحة (٩١) على لسان وائل يخاطب جين: (وطننا بحاجة إلينا، يمكنك أن تقابلي مَنْ هو أفضل من وائل، لديك كل ما تحتاجه المرأة لتحصيلي على أفضل الفرص! أرجوك جين! أرجوك لا تمنحني المبرر للتراجع والتخلي عن الوطن، وائل سيموت إذا خرج من غزة، وائل لا يؤمن الآن سوى بنفسه فلا تجعله يؤمن بك، شعوره بالضعف والعجز جعله يجبر نفسه على الإيثار بعدم فائدة المقاومة لأنه لا يؤمن إلا بالمواجهة، لا يؤمن بحرب الكلمات أو التحريض.. إنه لا يحسن سوى المواجهة.. لقد كان قاسياً مع كل شيء يحبه منذ الصغر ولكنه الآن يمارس القسوة مع نفسه... فقط). ومن طروحاتها الفكرية المتميزة في هذه القصة ما ورد في الصفحة (٨١) على لسان العجوز الأمريكية: (هل سيسمح لك خصمك أن تصبح قوياً؟ وماذا عن وطنك؟ إلى متى تظنه سينتظر؟ هل تعلم أن الفلسطينيين لو فكروا بضعفهم لحظة واحدة لما كانت الانتفاضة، ولبقي اليهود أقوياء بصمتكم، ولبقيتم ضعفاء بوهم انتظار القوة.. الفلسطينيون أقوياء بحقهم! بآبائهم! ولا أظنهم سينظرونك).

أما أجمل عباراتها وأبداع صورها هي الففلة التي انتهت بها القصة ص ١١٨: (ما زال وائل يقاوم، يشد على التذكرة، ويحاول أن ينهض، اقترب منه رجال الإسعاف، نظر إليهم، مدّ يده، حاولوا أن يمددوه على الأرض، قاومهم، نهض وحده، رفع التذكرة، دمعه بللتها، أمسك به رجل الأمن، لم يقاوم.. ابتسم بارتياح، والتذكرة تسقط من بين أصابعه... ليموت واقفاً!).

ختاماً:

إن هذه القصة في مجملها جيدة، وخطوة إضافية طيبة في طريق الأدب الإسلامي بعامه والقصصي منه بخاصة، وأملنا للكاتبة أن تبدع أكثر، سواء ما كان من ذلك في المضمون أم في النسيج القصصي والروائي، أم في أسلوب الصياغة وطرائق العرض، وهي بلا شك تملك الأدوات الأولية التي تعين على ذلك وزيادة.



صراخ حاد اصطفت به أشعار كثيرة تحت دواوي التجديد

وتكثرُ المدارك الوثنية (الكلام على الآلهة وعلى الأساطير والخرافات) كثرةً تكاد تكون قاعدة أو كثرةً هي القاعدة. ولا ريب في أن هذه المدارك الوثنية من أثر الاتجاه الشيوعي البارز في الشعر الحديث هذا. ثم هي من أثر تقهقر العقل الإنساني إلى أطواره التي كانت له في البداية، يوم كان الفكر الإنساني عاجزاً عن الإحاطة بمظاهر الوجود الفكرية والمادية، فأطلق الإنسان الأول لخياله العنان في تفسير تلك الظواهر.

فعللَ المدارك الفكرية تعليلاً ناقصاً لما قاس الألوهية - مثلاً - على حياته هو فتخيل لها يولد ويتزوج ويُرزق أولاداً ثم يغاضبه أولاده فيعاقبهم أو يُسرونه فيكافئهم. ويُنسبُ آلهة الإنسان القديم الحرب، فيما بينهم فينتصر بعضهم على بعض. وآلهة الإنسان القديم يلعبون ويسكرون ويزور بعضهم بعضاً ويتحدى بعضهم بعضاً: قال أحد آلهة الساماليتين لزميل له كان ضيفاً عليه، وقد قدم إليه ماءً في كأس:

أستطيع أن تشرب هذا الماء الذي في هذه الكأس؟

وشرب الإله الزميل الضيف من تلك الكأس حتى ظن أنه قد أفرغها ثم أراد أن يردها إلى زميله. ولكن دَهَشَتْه كانت عظيمةً لما رآها ملأته. ردَّ الكأس إلى فمه وعَبَّ منها عَبّاً شديداً، ولما شَعَرَ أن بطنه قد امتلأ ماءً رَفَعَ الكأس عن فمه فإذا هي لا تزال ملأته.

عندئذ قال الإله المضيف للإله الضيف: لا تعجب، فلقد خدعتك. إن هذه الكأس مُتَّصِلَةٌ بالبحر بأنبوب.

دون طائل:

بعد هذه الملاحظات الضرورية والتي هي شبه المقدمة سأرجعُ إلى دراسة الشعر الحديث بالاستناد إلى دراساتٍ نفيرٍ من الأدباء، ولن تكون هذه الدراسة إلاّ للمعالم الواضحة.

- والتحرر من القافية هو التسميط والتخميس والتوشيح أيضاً عندنا، وهو اللجوء إلى تنويع القوافي في القصيدة ولكن على نظام، بينما هذا التنويع عندهم قائم على عجز في ضبط قواعد القول.

وهناك فوارق كثيرة لا حصر لها، ولكن دعني أذكر شيئاً واحداً هو قلة التأدب في القول: إنه عمدة عند كثيرين منهم، وهو عارض عند نفر من شعرائنا في كل عصر. ولقد قال أبو نواس عن بعض شعره إنه لم يرضه، ولقد قاله في فترة من فترات شبابه ثم لم يجعله في ديوانه. وقلة التأدب هذه تأتي من قلة الفهم للمدارك الفكرية والمدارك الاجتماعية معاً.

من ذلك مثلاً أن لبدر شاكر السيّاب (١٩٢٦ - ١٩٦٤م) قصيدة عنوانها «المغرب العربي» يقول فيها:

فنحن جميعنا أموات

أنا ومحمد والله.

قعقعة دون طحن!

من الناس من يمدح هذه القصيدة - يزعم فيها قوة وجراءة - ولا أرى فيها سوى الصراخ والقعقعة وهذه القحّة التي تتكشف عن جهل. أظنهم أعجبوا بأن قال السيّاب عن الله إنه مات. أليست كل الديانات الوثنية، منذ أيام «إيزيس وأوزيرس» في مصر القديمة ومنذ أيام السومريين والكنعانيين في شرقي البحر الأبيض المتوسط ومنذ أيام كرشنا في الهند يقولون عن الله إنه يموت؟ ألعله قد جاءهم خبر جملة من قول نيتشة في كتابه «زرادشت» حينما مرّ زرادشت بشيخٍ فإن يركع في غابة ويرفع يديه إلى ما فوق رأسه. سأل زرادشت هذا الشيخ: «وما تفعل، يا صاحبي؟» فردّ ذلك الشيخ على سؤال زرادشت بقوله: «أنا أدعو الله». فتابع زرادشت سيره وهو يقول (إشفاقاً على هذا الشيخ): ألم يعلم أن الله (أي إلهه) قد مات. ومعنى قول نيتشة أن الرجل الذي يترك العمل والفكر ثم يطلب من الله أن يفعل له كل شيء لا يدري معنى الألوهية.

بعض الشعراء الهشوا خالف
الأساطير دون وأزع من ضمير

ويقولون إنهم يخطون في الشعر - في الموضوعات وفي
التفاعيل وفي اللغة ألفاظاً وأسلوباً وفي الروح الشعري (والروح
مذكر) - طرقاتاً جديدة. وكل ما زعموه جدّاً لهم كان نَقَرٌ من شعراء
العربية قد هَوّوا به زَمناً ثم لم يَرْضَوْا أن يَنْسِبُوهُ إلى أنفسهم إلا على
أنه دَوْر كان لهم ثم مر.

أراد أبو نواس مرة أن يتناسى أن البيت وحدة المعنى فقال
(وسأثبت الأبيات على الطريق الحديثة):

الحمد لله

إني

على حداثة سني

فقت المحبين طراً

ببعض ما شاع عني.

فكيف لو عَلِمَ الناسُ

ما تغيب مني؟

وأراد جماعة من المحدثين (العباسيين) التلاعب بوحدة
البيت وبالقافية أيضاً، فروى المعري (الفصول والغايات،
القاهرة ١٩٧٧ م، ص ٢٥٨) أبياتاً هي:

ك من يحيى بن منصور

أبا بكر، لقد جاءك

ه صرّفاً غير

ر الكأس، فخذها من

مـزو

ه، أبا بكر، من السو

جّه. جنبك اللـ

القافية هنا هي الواو (وليست في الحقيقة قافية). والأبيات
الثلاثة لا وحدة للمعنى فيها. وسأسردها بحسب الترتيب
الحديث فيما يلي:

أبا بكر،

لقد جاءك من يحيى بن منصور الكأس.

فخذها منه صرّفاً غير ممزوجة.

جنبك الله،

أبا بكر،

من السوء.

وأما تضمن أقوال مختلفة في الشعر الحديث كالذي يُكثّر
منه ت. إس. البيوت وعزرا باوند، وقد جُنّا به، فإنه وَرَدَ عند
العربية للتملح مرة بعد مرة. وسأكتفي من نهاذه برسالة لبديع
الزمان الممداني نفسه كتبت بها إلى أبي بكر الخوارزمي: (والكلام
المحصور بين أهلة كبار مقبّس).

أنا لقرب الأستاذ

- أطال الله بقاءه -

(كما طرب النشوان مالت به الخمر)،

ومن الارتياح للقاءه

(كما انتفض العصفور بلله القطر)،

ومن الامتزاج بولائه

(كما التقت الصهباء والبارد العذب)،

ومن الابتهاج بمرآه

(كما اهتز تحت البارج الغصن الرطب).

فكيف نشاط الأستاذ

لصديق طوى إليه ما بين قصبي العراق وخراسان،

بل ما بين عتبي نيسابور وجرجان؟

وكيف اهتزأه لصيف في برودة جمال

وجلدة جمال؟

(رث الشائل منهج الأثواب،

بكرت عليه مغيرة الأعراب).

وهو

- أيده الله -

ولي إنعامه بإنفاذ غلامه

إلى مستقري

لأفضي إليه بسري،

قطوف

شعر: أحمد عبد الحفيظ شحاته

سيفاً من النور
يُزجي إلى العالمين الهدى والنداء
الضياء

المدائن للفتح مزدانة والقري
سرحات من الحلم
يكبو الفضاء على ركبتيهما
ويحبو نداء النخيل
الأماسي تُرهف للصبح آذانها
والرّمال
بجوف الصحارى تسيل
هو الفجر والطالعون به البحر
يمشي خيولاً من الضوء والنار بالحلم
فوق غضى صخرة المستحيل
(أرحنا بها يا بلال) التواريخ أزلّمها انكسرت في النداء
وزايلها الحشف والعصف
قامت بها الأرض عصفورة
من ضياء
وحورية من رجاء
(أرحنا بها يا بلال) الرمال تُضيء
ترش سنابلها فرحاً في العواصم
والريخ سارية
والليالي سبيل

من يرد المواقيت إلى عرسها؟
ويعيد الفضاء
إلى نبضه الحر
من؟
لكتاب المدى يصطفى أقحواناً

نفحة من عرار ندى الفجر
دفاقة
وبحار
خطى الضوء فيها تمور
طيور المواقيت صداحة
والبراري
حمام من فرح
في حرير الفضاءات
ترفل هالاتها
الملائك تياهة، والنسائم
في الأرج الكوثرى
ملاّب يرق
السديم به أنجم الطهر حانية
فالبريد السماوي للأرض
ينزل بالنور للنور
ناموسة في خراء...
يتشقق وجه الظلام
يسقط في حافلات المدى
لحمه
وتذوب العظام
فالنداء من الحق بالحق: (اقرأ)
طيور المواقيت تصدح: ماذا؟!
- هو الله رب السموات والأرض
يومي
إلى خاتم الأنبياء
محمد يبسط كفيه في دهش
سمعه والكيان التقي
فيأخذه ثم يرسله الروح
في حدي (باسم ربك)
يخرج للكون

هل تاه الخطو ؟!

شعر: بدر بدير

والوجه شاه أم الوقت الذي شاهها
أم في القلوب نمت فاستنبتت آها
كجَمرة النار في الأغوار مسراها
ونحن كالبهيم تلهو حول مرعاهها
فما لها من فتى حُرٍّ ليرعاهها
دماء أحرارها واهلاً لها واهها
وهم سجدوا أمام الله أجزاهها
عرس المهيب لمجراهاها ومرآهاها
قد أغمضت عينها واستفلقت فاهها؟
عري المحبة وانحلت خلائهاها
عصابة زينت بالشر مسعاهها
لا ظلم إلا وقد سوّته يمناهها
إلا غدا بعد حين من ضحاياهاها
بأمة قاومت ليلاً تغشاههاها
في الأرض تُنبؤنا عن سوء مرمهاها
كالشاة تهدي إلى ذئب حواياهاها

يعيد للعرب أجداداً أضغناهاها
قلوبنا الجشع المقنوت أعماهاها
ترد للحق أقلاماً وأفواهاها

ما بيتنا إلا قطعناهاها
إلى ذرا المجد لكننا افتقناهاها
نجيء من بعدنا؟ إننا نسيناهاها؟
ونحن نحرق صفحات كتبناهاها
ونحن نُهنا على دربٍ له تاههاها
لا تقبلي عُذْرَ من لا يُنصر الله
سدنا بهازمناً لكن هجرناهاها
على طريق الهدى والمجد زكاههاها
لا يبتني المجد من لا يملك الجاههاها

الخطو تاه أم الدرب الذي تاهها
وعتمة الحزن في آفاقنا انسدت
أهلاً تحرق عبر الصدر مجراهاها
يبكي بآفاقنا نجم السماء أسى
تسطو عليها ذئاب الغياب أمنة
هذي سرايفنا والصرب تلعق من
حتى المصلين لم تحقن دمناؤهم
ضجت ملائكة الرحمن وانتفض الـ
وارتجت الأرض تلعن فوقها أئمة
حتى تداعى أساس العدل وانقطعت
وبات يحكم دنيانا ويحرسهاها
تعيث في الأرض إفساداً وتهلكة
ما قام للعدل قوَّامٌ وناصر
باسم الحقوق وباسم العدل كم فتكت
آثار إفسادها في كل ناحية
ومن عجيب ضحاياها تدغمهاها

من لي بعزم صلاح الدين يشحذه
يا صادق الوعد يا صديق قد صدث
ادفع سراياك في وجداننا فعسى

يا قومنا مالنا لم تبق أصره
عري العروبة والإسلام تدفعنا
ماذا نقول لأجيال معذبة
الناس تكتب في صفحاته جملا
الناس في دربه تسعى مؤثرة
يا راية العرب والإسلام مغيرة
بالعلم بالوحدة الكبرى بأسلحة
يا أمة العرب والإسلام أفلح من
كفى ضياعاً وتمزيقاً لوحدتنا

الشیطان شاطر*

قصة: أحمد فراج

حليل أعلن رئيس لجنة المناقشة .. منح الطالب درجة الدكتوراة .. بتقدير امتياز .. مع مرتبة الشرف .. ابتسم .. انبعث بخار الفرح من شفثيه .. ارتفع .. اقترب من عينيه .. امتزج بدموعه .. تكثف .. تحول إلى مرآة وردية .. تعكس صورة أمه .. تحتضنه .. تقبله تهته .. صورة أبيه .. يهرع نحوه .. ومن خلفه .. تركض حداث السعادة .. شعر بأطواق الورود .. تتراحم حول عنقه .. تفتحت زهور الأحلام .. فاح عطر النجاح ..

صورتي بصفة دائمة .. في المجلات .. في الجرائد .. في «التلفزيون» .. سأكون حديث أهل بلدي لمدة لا تنتهي .. ابتسم .. نظرت حوله .. لكن ما هذا؟ .. ما كل هذه الرداهات السرية المنتشرة على الجانبين؟ .. وإلى أين تؤدي؟ .. وماذا يحدث بداخلها؟ .. ولماذا كل هذه الحراسة البشرية؟ ألا تكفي هذه اللاتقات التي تحذر من الاقتراب منها؟ .. إن الوصول إلى هذا المكان هو المستحيل بعينه .. إن نظام حماية هذه الوكالة يكفي لحماية شعب بأكمله من أعتى اعتداء عسكري .. ما علينا .. أنا موظف جديد .. ولا أعرف كيف تدار هذه المعاهد المتقدمة .. ربما كان هناك ما يستدعي وجود هذا النظام ..

حين اقترب من باب المكتب .. انفتح الباب آلياً .. قام مدير الوكالة .. رحب به ..

- ستفيدنا كثيراً .. وسوف تستفيد أيضاً .. ربما أكثر مما تفيدنا .. فهنا يعمل أفضل علماء الأرض ..

- أشكر لك ثقتك الغالية .. وأرجو أن يوفقنا الله من أجل خدمة

العلم والبشرية .. وقع بصره .. على مجموعة من نماذج سفن الفضاء .. تشالنجر .. فيكنج ون .. فيكنج تو .. أبوللو .. ديسكفري .. ظهرت على وجهه آثار الدهشة ..

- فيم تفكر؟

- لا شيء .. كنت أشاهد هذه النماذج في المجلات والكتب فقط ..

- ها أنت تراها رؤيا العين .. وتعمل في أحدثها أيضاً .. هذا هو

نموذج السفينة التي ستعمل في مشروعها .. إلى الآن لم نطلق عليها اسماً .. ابتسم .. ثم أكمل ..

- وها أنت تستعجل البدء في العمل .. قم افحص هذه النماذج

جيداً .. فسوف يساعدك هذا على فهم السفن الحقيقية ..

قام .. اقترب من النماذج .. بدأ فحصها .. شرد فترة .. سأل نفسه

.. كيف استطاعوا صناعة كل هذا؟ .. كيف؟ .. إنها أشياء تشبه

ما هؤلاء الناس! .. لا يبحثون إلا

عن الخراب والدمار والفزع؟!

كلما سمع تهته .. رد باللغة العربية ..

- الحمد لله

- التوفيق من الله

- الشكر لله

حين يقف أحد المهنيين .. ليستفسر

- ماذا قلت؟

يكرر الإجابة باللغة العربية .. قبل أن تفرغ الصالة .. اقترب منه شخص .. قدّم له باقة ورد ..

- مبروك .. أنت محظوظ .. سيؤهلك هذا البحث للعمل في أفضل

معهد في العالم .. حيث لا يعمل سوى أفضل العلماء ..

- شكراً لهذه التهته اللطيفة .. لكن من أنت؟

- أنا مندوب وكالة الأبحاث الفضائية .. ومكلف بإبلاغك برغبة

الوكالة في أن تعمل لديها ..

- لماذا أنا بالذات؟

- نستطيع أن نتابع كل الأبحاث العلمية في مجال الفضاء .. باهتمام

شديد ..

والتائج التي توصلت إليها على درجة كبيرة من الأهمية .. وسوف

تفيدنا كثيراً ..

فتح حقيبة يده الرقمية .. أخرج بعض الأوراق ..

- هذا هو عقد العمل .. وكل الأوراق الضرورية .. ما عليك سوى

قراءتها جيداً .. والتوقيع عليها .. وسوف أعود إليك في وقت لاحق ..

في الردهة المؤدية إلى مكتب مدير المعهد .. أحس أن أهميته زادت

ملايين المرات .. أحس أنه يسير نحو الشمس .. نحو مملكة المجد ..

حيث ينوي الإقامة حتى الأبد .. نظرت حوله .. عشرات من الدوائر

التلفزيونية المغلقة .. عشرات من عدسات التصوير السرية .. عشرات

من أجهزة الإنذار المبكر .. عشرات من أجهزة الكمبيوتر .. حدث نفسه

بصوت منخفض .. لقد فتحت أبواب الأمل .. ولن تغلق مرة أخرى ..

سيفخر بلدي بي .. سيفتخر بي أهلي .. أقاربي .. أصدقائي .. ستشتر

* فازت هذه القصة بجائزة تشجيعية في مسابقة القصة القصيرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

- يمكنك التأكد بنفسك.
- هذا الحجم ضروري جداً .. ولا يمكن حذف أي جزء منه.
- لكن.
قاطعه.
- هذا الموضوع ليس من اختصاصك و ..
انطلق صوت من آلة مثبتة في المكتب .. لمس المدير أحد الأزرار الضوئية .. سمع بعض الكلمات .. ارتبك .. توتر .. اندفع خارج الغرفة مسرعاً ..
- دع هذا الموضوع الآن .. إن لم أعد لك بعد قليل أرجو أن أراك غداً، ففكر قليلاً .. سأل نفسه .. لماذا ارتبك هكذا؟ .. ولماذا تحدثت معي بكل هذه العصبية؟ هل هو اكتشافي لأحد أخطائهم؟ .. إنني على يقين من صواب فكري .. هل هذا الجزء هام إلى هذه الدرجة؟ .. ما هي وظيفته إذن؟ .. ولماذا لم يقل؟ يبدو أنني لا أعرف الكثير من أهداف هذا المشروع السرية.
قطع خيط أفكاره .. صوت المدير .. ينبعث من نفس الآلة .. أدرك أنه نسي أن يلمس الزر الآخر .. قبل أن تصل يده إلى الزر .. تذكر أنه ليس من حقّه وضع يده على ما لا يخصه .. أعاد يده .. سمعه يصرخ.
- إلى متى ستعارض هذا الموضوع؟ .. إلى متى؟
- أنا قائد الرواد .. ومن حقّي أن أعترض ..
- وأنا مدير الوكالة كلها .. وأتحمل المسؤولية كاملة.
- إن هذا الأسلوب غير إنساني.
- لا بد من إجراء التجارب على هؤلاء الأشخاص أو على غيرهم وهم أفضل.
- ليس بهذا الأسلوب الجبري.
- إنهم يمثلون خطراً على مجتمعنا .. وعلى أفكارنا .. وهم في السجون منذ زمن .. أي في عداد الأموات .. وأنت تعرف أنه لا بد من إجراء هذه التجارب من أجل جميع البشر.
- أنا لا أقتنع بهذه الشعارات البراقة الكاذبة.
- إذا استمرّ اعتراضك هكذا .. سأضطر لإعفائك من مهمّتك .. وسوف أبلغ السلطات وأنت ..
لم يكمل الإستماع .. قام .. خرج من الغرفة غاضباً .. وهو يحدث نفسه بصوت مرتفع .. الآن فقط تأكدت من صحّة ظنوني .. الآن فقط عرفتُ ماذا يحدث في هذه الدهاليز السرية .. الآن فقط عرفت لماذا وضعوا كل هذه النظم الأمنية داخل المعهد .. كل ما قاله أبي .. كان صحيحاً .. الشيطان شاطر .. ها هم يجرون تجارب إجبارية على البشر .. ومن يعرف .. ماذا يحدث غداً ..
ضحك بصوت مرتفع .. التفتّ حوله الحرس .. ساروا خلفه .. سألوه.
- ماذا تقول ..؟
- لماذا تضحك هكذا؟

المعجزات .. بناء هندسي محكم .. مولّدات طاقة مصغّرة .. أجهزة «إلكترونية» شديدة التعقيد .. آلات تحكم عن بعد متناهية الدقة .. وقود نووي .. أطعمة مضغوطة .. أذرع آلية .. أذان صناعية للتصنّت .. أعين صناعية للتصوير .. محولات ومولّدات لأشعة «اكس» .. «الليزر» .. كيف توصّلوا إلى كل هذا ..؟ كيف؟ .. وما هو الدافع وراء هذا؟ .. أريد أن أصدّق ما يقولونه .. لكنني لا أستطيع .. هل هذا صحيح؟ هل صنعوا كل هذا من أجل سعادة البشر؟ .. لا .. لا .. لا أستطيع أن أصدّق هذا .. إنني أحسّ بأشياء كثيرة .. تثبت عكس ذلك .. لقد أنثيتُ إلى هنا منذ فترة طويلة جداً .. عشتُ هنا .. أكملتُ دراستي .. تفاعلتُ مع هذا المجتمع بكل مكوناته .. عرفت كيف تسير الحياة فيه .. عرفت ما هو هدف هذا المجتمع من الحياة .. إنهم يعملون من أجل أنفسهم فقط .. من أجل حاضرهم .. من أجل مستقبلهم .. حاولتُ كثيراً أن أصدّق .. لم أستطع .. كل ما قاله أبي .. كان صحيحاً .. كنتُ أحسبه مجرد كلام .. مجرد حديث مكرّر .. كلّمّا أعاد تحذيرات لي من الحياة في هذه المجتمعات .. كنتُ أضحك.

- لا تخف يا أبي .. اطمئن .. أنا إنسان مسلم لا أقرب المحرّمات.
كان يكرّر جملة واحدة .. كلّمّا سمع هذا الرد.
- ولو .. إن الشيطان شاطر.
كل ما قاله كان صحيحاً .. ليس من السهل التغلّب على إغراءات الحياة في هذه المجتمعات .. فالشيطان شاطر بالفعل .. لكن فيما العجلة .. ربّما كانت إدعاءاتهم صحيحة .. أنا موظف جديد .. وسوف أعرف الكثير بمرور الوقت .. إن بعض الظنّ إنهم ..
حين اقترب من سفينة الفضاء .. تسمّر في مكانه .. هبّت عليه عواصف الإعجاب العاتية .. تساقطت فوقه ثلوج الدهشة .. تراكمت .. كادت أن تغرقه .. تذكر ثقته في دينه .. في نفسه .. في وطنه .. اشتعلت نائراً إرادته .. ذابت ثلوج الدهشة .. بدأ فحص السفينة .. اقترب من المصعد الكهربائي .. دخل .. ضغط الزر .. ارتفع .. فحص معمل الأبحاث .. مقرّ القيادة .. مقصورة الرّواد .. سرقته فكرة جريئة .. عاد إلى المصعد، ضغط على زر الهبوط .. هبط قليلاً .. توقف .. ألقى نظرة فاحصة .. أكمل الهبوط .. على الفور .. توجه إلى مكتب مدير الوكالة.
- لقد فحصتُ السفينة .. وأعتقد أنه يمكن اختزال جزء كبير من حجم مقصورة الرّواد بسهولة تامة.

- مستحيل .. مستحيل .. كيف تقول هذا؟
- حذف هذا الجزء سيفيد المشروع من كل الزوايا.
- ماذا تقول؟ .. وكيف عرفت هذا؟ .. مستحيل .. مستحيل

**كم تمنيت أن أعيش العصور
الإسلامية الزاهية الخيرة!!**